قيم فنية وجمالية فى مسرح شكسبير مسرحية "تاجر البندقية" نموذجاً

إعـــداد

د/ فرج عمر فرج

مدرس الإعلام والدراما والنقد بكلية التربية النوعية – جامعة المنوفية

ملخص الدراسة

لم يكن مسرح شيكسبير مجرد مسرح ترفيهي يدعو للمرح و التسلية و إنما حمل بعض مظاهر المسرح التربوي من خلال ما قدمه من قيم فنية و جمالية ، فضلا عما دفع به لجمهوره من أسلوب للتعايش الإنسانيى يمكن أن يتحقق بمجموعة من الأسس و المبادئ التي يعتنقها الإنسان فتوجه حياته نحو المسار الصحيح. في مسرحيته "تاجر البندقية" أولى شكسبير عناية كبيرة لغرس قيم مهمة و أساسية من خلال دراما جيدة و ممتعة في آن واحد و مقدمة ببناء درامي محكم. وهذه القيم تتجسد في معاني الصداقة و الحب و الإخلاص و الرضا و الشرف و الرحمة. و قد أظهر شكسبير اهتماما عظيما بجوهر الصداقة و اعتبرها أغلى قيمة انسانية يضحى من أجلها بالحياة. بالإضافة إلى إيمانه بالرحمة و الشفقة باعتبارهما طريقين يسلكهما البشر من أجل سيادة قيم عليا تحكم الحياة الإنسانية.

Summery of the study

The theatre of Shakespeare was not mere entertaining theatre, but it has educational symptoms conveying artistic and aesthetic values. It teaches us how to live together as real human being through that basis and principals which direct one's life. In his play "Merchant of Venice", Shakespeare was very keen to offer his audience several important and essential values through serious and enjoyable drama with perfect dramatic structure. These values like: friendship, love, faith, satisfaction, honor and mercy. He gave a great care to them essence of friendship and love as being the most precious values in the life. In addition to this he believes that mercy and pity should dominate all the human relation.

مقدمة:

المعروف أن" الدراما تمثل نموذجاً نقياً للمحادثة الاجتماعية ، ويقترب الحوار على نحو محدود جداً مما يحدث من لقاءات كلامية فى الحياة اليومية"[(i)] ، ومعروف أيضاً عن وليم شكسبير أنه "يروع عقول البشر بقوة حواره وعمق غوصه فى النفس البشرية ، وأصالة تعبيره عن حقائق تلك النفس ، بحيث لا يمكن أن ترد مسرحياته إلى مجرد أحداث ومناظر تربط بينها عبارات تفسيرية سطحية"[(ii)] ، ولعل هذا يعود إلى أنه شاعر مبدع وكاتب مسرحي خلاق ، وهو يمزج بين الاثنين ؛ فيخرج حواراً درامياً راقياً ، ولعل هذا هو السبب في خلود مسرحيات شكسبير .

وفى مسرحية تاجر البندقية نجد أن شكسبير "صاغ أحداثها في ألفاظ غاية فى الروعة ، التي وإن أيقظت المشاعر والأحاسيس ، إلا أنها توقف التفكير وتشل العقل بحيث يتقبل القيم التي تعرضها المسرحية دون إمعان فكر"(iii) ، فقد استخدم شكسبير النظم الشعري أحياناً واللغة الغير شعرية أحياناً أخرى ، بل أنه استخدم لغة العامة والسوقية فى أجزاء معينة من هذه المسرحية ، وهذا واضح فى حوار جراتيانو الذى تلفظ بألفاظ سوقية وبذيئة أحياناً ، وهذا أمر لا بأس به طالما يعبر عن ثقافة الشخصية الدرامية وعن بيئتها – دون استخدام الألفاظ التي يجرمها المجتمع بالطبع- .

ويستخدم شكسبير النثر والشعر معا فى مسرحه وينتقل بينهما حسب مقتضيات الدراما ، وقد يظن البعض أن القاعدة هى استخدام الشعر وأن النثر فى مسرحه ضئيل هزيل ، ولكن الواقع غير هذا ، فهو قد استخدم النثر على نطاق واسع لأغراض واضحة محددة وقد شغل فى بعض المسرحيات ما قد يربو على النصف ، فالعامة يتحدثون شعرا إلا فى الرسائل ومناظر الجنون ، وهزل وتبادل النكات . وفى الكوميديا يغلب استخدام النثر وخاصة فى المناظر الهزلية ، بينما يستخدم الشعر فى الحبكات الرومانسية التى تنتظم خط الحب فى الكوميديا"(iv) .

مشكلة الدراسة

لما كان الأدب – بوجه عام – هو سجل مشاعر الأمة وأرائها ، ويستطيع أن ينقل صورة صادقة عن البشر الذين يعيشون فى مجتمع ما ، لأن "الأدب هو انعكاس للبنية

الاجتماعية ، كما أن النص الأدبي هو دلالة على ما حوله من أشياء أخرى طبيعية أو اجتماعية أو فكرية"(v) ، ولما كانت مهمة المسرح الأساسية هى محاولة وصف الواقع ، كما أنه يُعد "أحد أشكال الوعي الاجتماعي لاحتوائه على حصاد إدراك البشر لعالمهم الذي يعيشون فيه والكون الذي يحتويه"(vi) ، "ولا يمكن أن ينفصل عن الواقع الذي يتواجد فيه"(vii) . ولما كانت الدراما المسرحية تقدم نماذج مختلفة من الشخصيات والموضوعات المختلفة ، وهذا التقديم قد يكون إيجابيا أو سلبيا مما يساهم فى خلق صورة ذهنية أو انطباعا معينا لدى جمهور المسرح عن الشخصيات الإنسانية والقيم والأخلاق التى تتحلى بها . ولما كان المسرح يستطيع بالوصف والتحليل تحديد سمات وقيم وخصائص الشخصيات الإنسانية المختلفة . ولما كانت هذه الشخصية الإنسانية مثار جدل دائم وأزلي ؛ فإن التصدي لها بالدراسة من خلال المسرح قد يكون حلاً لهذه الإشكالية عند الكثيرين ، خاصة عندما نتعرف على سمات هذه الشخصية ونرصد المشكلات الخاصة بها ، وأخلاقها وقيمها المختلفة .

وعليه فقد تبلورت مشكلة هذه الدراسة فى التعرف على بعض القيم الإنسانية التى تناولها وليم شكسبير فى مسرحه ، وذلك من خلال تحليل المضمون لمسرحيته "تاجر البندقية" .

تساؤلات الدراسة :

١- ما أهم القيم والمبادئ التي طرحها وأكدَّ عليها شكسبير فى مسرحيته "تاجر البندقية.

٢- هل هذه القيم واضحة ومؤكدة عند شكسبير؟ أم لا ؟ .

٣- هل هذه القيم هامة في حياتنا؟

أهمية الدراسة :

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تتناول مجموعة من القيم الأخلاقية التى نحتاج إلى التركيز والتأكيد عليها ، وغرسها داخل نفوسنا بشكل عام وفى عقول ووجدان أطفالنا بشكل خاص ، لما لها من أهمية قصوى فى تربية إنسان سوى وصالح لنفسه ولمجتمعه.

أهداف الدراسة :

١- الكشف عن القيم الأخلاقية التي تتضمنها النص المسرحي "تاجر البندقية".

٢- التعرف على قوة ووضوح وتأكيد شكسبير على القيم التي تناولها في نصه المسرحي "تاجر البندقية" .

نوع البحث ومنهجه :

يعد البحث من البحوث الوصفية فى تحليل المضمون . حيث يستهدف الباحث من دراسته "تحديد أو تقدير سمات موقف ما أو جماعة من الناس"(viii) ، أيضاً يستهدف "تقديم الحقائق وتحديد درجة الارتباط بين متغيرات مختارة"(ix). واستخدم الباحث هذا النوع من مناهج البحث لكي يصف القيم التى تتضمنها مسرحية "تاجر البندقية" .

أداة تحليل المضمون (Content Analysis):

تحليل المضمون: هو "أسلوب للبحث العلمي يسعى إلى وصف المحتوى"(x) ، "ويقدم طرقاً موضوعية ومنتظمة لتقييم العناصر الفردية التي تشكل معاً الحدث الاتصالي ككل"(xi) . لذلك فإن أداة تحليل المضمون ستكون الأداة الأساسية التي سوف يعتمد عليها الباحث في جمع البيانات الخاصة بالدراسة التحليلية ، وذلك من خلال تحليل محتوى النص المسرحي "تاجر البندقية" .

مجتمع الدراسة:

مجتمع الدراسة هو مسرحيات وليم شكسبير التى تحتوى على بعض القيم الأخلاقية الضرورية فى مجال تربية الإنسان .

طريقة اختيار العينة :

قرأ الباحث العديد من النصوص المسرحية لشكسبير ، وذلك للوقوف عند النصوص التى تتضمن قيم أخلاقية بشكل واضح ومباشر ، ومن خلال القراءة توصل الباحث إلى أن مسرحية "تاجر البندقية" تتناول عدة قيم أخلاقية هامة وضرورية فى مجال التربية ، فوقع اختياره عليها لدراستها.

الدراسات السابقة

١- دراسة مديحة عامر: قيم فنية وجمالية فى شعر صلاح عبد الصبور[xii].

تناولت الدراسة فى الباب الأول الحزن فى إبداع صلاح عبد الصبور ، وفى الباب الثاني تناولت قيمة الحب فى شعره ، وفى الثالث تناولت قضايا الوطن فى وجدان صلاح عبد الصبور ، وقيمة الصداقة ونبضها الإنساني فى فكر وشعر صلاح عبد الصبور ، وتناولت فى الباب الرابع من دراستها ، الفن والجمال فى شعر صلاح عبد الصبور .

مصطلحات الدراسة:

– **قيمة الصداقة** : الصداقة علاقة اجتماعية تربط شخصين أو أكثر، على أساس الثقة والمودة والتعاون بينهم ، والصداقة تُشتق في العربية من الصدق[xiii]. كما أن "الصداقة علاقة اجتماعية ، بين شخصين أو أكثر ، تقوم على المشاركة الوجدانية ، وتتميز عن غيرها من العلاقات الاجتماعية بالاستمرارية ، والتجرد من المنفعة (المادية المباشرة) ، وتوافر قدر من الاشتراك في نمط الشخصية والتفكير والسلوك والمقدرات الذاتية والميول[xiv].

– **قيمة الحب** : الحبّ هو رابطة روحيّة ، وإحساس نفسي ، وشعور وجداني يعيش في أعماق النفس ، ويتّخذ أشكالاً شتّى من التعبير ، كالثناء والتقبيل والتحيّة والمصافحة والنصيحة والمعانقة ورفع الأذى ، والهديّة والمصاحبة في السّير والزيارة، والاحتفاظ بالصّورة ، وبتبادل كلمات الود، والعيش في مكان مشترك. ويتجسّد الحبّ في مجالين اثنين هما : المجال الحسِّي ؛ وهو الحبّ المألوف في عالَم الإنسان ، وثانيهما المجال الروحي : وهو الحبّ الرّوحي المتمثِّل في حبّ الإنسان لله وللقيم والمعاني المجرّدة ، كقيم الحق والعدل[xv].

– **قيمة الوفاء** : تتمثل في التفاني من أجل قضية ما أو شيء ما ، وهو خصلة اجتماعية ، وصفة إنسانية جميلة ، عندما يبلغها الإنسان بمشاعره وأحاسيسه فإنه يصل لأحد مراحل بلوغ النفس البشرية لفضائلها، والوفاء صدق في القول والفعل معاً، والوفاء يلزم القيم السامية والمثلى للإنسان(xvi).

قيمة الرحمة: هى ليست عاطفة عارضة أو شفقة وقتية مرتبطة بموقف معين ، وإنما هى بطبيعتها ينبغي أن تكون خلقا ثابتا ومتأصلا فى النفس الإنسانية ، وشاملا لكل قيم السلوك الفاضل فى التعامل مع البشر ومع كل الكائنات الأخرى فى هذا الوجود[xvii].

قيمة الشرف : الشرف فى"اللغة"**هو العلو** ، ويقال ذا الشرف أي ذا السمو والرفعة"، والرجل إذا علت منزلته فهو شريف[xviii].

قيمة القناعة : القناعة مصدر قَنِع ، بالكسر، يقنَع قُنوعًا وقناعةً إذا رضي، وقَنَعَ ، وبالفتح ، يقنَع قُنوعًا إذا سأل، والقُنوع باليسير من العطاء. العلم" :إن القُنوع قد يكون بمعنى الرضا، والقانع بمعنى الراضي، وهو من الأضداد. وسُمِّيت قناعةً؛ لأنه يُقبِل على الشيء الذي له راضيًا[xix].

قيم فنية وجمالية فى مسرحية "تاجر البندقية" .. تأليف: وليم شكسبير

وليم شكسبير

"الحقائق الواضحة والصحيحة عن حياته الشخصية ليست بالوضوح الكافي ، لأن الذي وصل إلينا عن حياة الرجل من مصادر حقيقية وأصلية قليل جداً ، والكثير من الحقائق المتاحة والموجودة بين أيدينا عن حياته اعتمدت أغلبها على تخمينات واستنتاجات من أعماله"(xx) .

وُلد "وليم شكسبير فى ٢٣ أبريل من عام ١٥٦٤م لأبوين ثريين – إلى حد ما – حيث كان والده من رجال الأعمال فى قرية ستراتفورد على نهر آفون ، أبوه جون شكسبير هو ابن فلاح أتى إلى ستراتفورد فى عام ١٥٣١ تقريباً ، وبدأ ينجح فى عمله بتجارة الحبوب والجلود والمنتجات الزراعية ، وأمه هى مارى آردين ، وكانت ابنة لفلاح ثرى ، ولم يكن أبوه ولا أمه يعرفان القراءة والكتابة"(xxi) ، ولكن هذا الثراء الذى نشأ فيه شكسبير لم يستمر طويلاً ، فقد تعرض أبوه لأزمة مالية اضطرته إلى الإستدانة ، وإلى بيع منزل زوجته – أم شكسبير – ، الأمر الذى جعل شكسبير يترك مدرسته وهو فى الثالثة عشرة من عمره وينخرط فى سوق العمل ليساعد أبوه فى المعيشة ، ويبدو أن هذه الأزمة المادية – التى مر بها شكسبير وعائلته – هى التى جعلته "يتزوج وهو فى التاسعة عشرة من عمره من امرأة ثرية تدعى آن هاساواى ، وكانت تكبره بثمانى سنوات ، ولم تكن حياته معها سعيدة ، رزق منها بثلاثة أطفال: بنتين وصبياً واحداً ، البنتان أسماهما سوزانا وهامنت ، أما الولد فأسماه جوديث"(xxii) .

سافر شكسبير إلى لندن عام ١٥٨٥ بعد أن شعر أن المعيشة فى ستراتفورد أصبحت صعبة بسبب اضطهاد أحد أعيانها له كان شكسبير قد هجاه فى قصيدة شعرية ، "وقد تضاربت الأقوال عما كان يفعله لكسب الرزق فى بادئ عهده بالمدينة، فهناك رواية تقول إنه كان يحرس الخيول التى كان يتركها رواد المسرح من الموسرين فى الخارج ويعتنى بها فى أثناء مشاهدتهم المسرحية . ورواية ثانية تدَعى أنه كان خادماً داخل المسرح ، وثالثة أنه كان مساعداً للملقن ، ولكن يبدو أنه سرعان ما اتجه إلى العمل المسرحي حيث بدأ نجمه يبزُغ تدريجياً . ويُقال إنه بدأ عمله كمؤلف مسرحى يقوم بمراجعة أو إعادة كتابة بعض المسرحيات التى كانت الفرقة تكلفه بها والتى كان لها الحق بمراجعتها بعد شرائها من أصحابها"(xxiii) .

على أية حال فإن شكسبير قد ذاع صيته كممثل وكمؤلف منذ عام ١٥٩٢م ، وأصبح من الأثرياء بعد سنوات قليلة من شهرته هذه لدرجة أنه اشترى أغلى منزل فى بلدته الأصلية ستراتفورد ، كما أنتج عدة مسرحيات لنفسه فى أواخر حياته الفنية. واعتزل شكسبير المسرح عام ١٦١١ بسبب مرضه وبسبب عشقه لبلدته ستراتفورد التى بدأ يقضى معظم وقته فيها ، وقد وافته المنية فى عام ١٦١٦م بعد صراع مع المرض ، ودفن فى بلدته التى وُلد فيها "ستراتفورد" .

إن عظمة شكسبير"تتجلى فى الطريقة التى يحبك بها أطراف القصة لتصبح مسرحية فنية متكاملة ، وفى الطريقة التى يصور فيها الشخصيات المتعددة ويطورها بحيث تصبح إنسانية واقعية ، وفى الشعر العظيم الذى تفوق فيه عن جميع أقرانه من الشعراء الإنجليز ومعظم الشعراء الآخرين فى جميع أنحاء العالم ، كما أن سر عظمة شكسبير أيضاً هو قدرته فى تجريد شخصيته من أعماله الفنية ، فكل شخصية من شخصياته لها خصائصها التى لا تمت إلى شخصية شكسبير بصلة ، وربما ساعده على هذا خياله الخصب ، الذى منحه قدرة كبيرة على الخلق والإبداع، فشكسبير كان "أبعد ما يكون عن التعبير ، فالأحاسيس والأفكار التى تزخر بها مسرحياته ليست أحاسيسه وأفكاره هو بل هى دائماً أحاسيس وأفكار شخوصه فى المواقف الدرامية المعينة التى يعيشونها"(xxiv) .

البناء الدرامى لمسرحية " تاجر البندقية"* The Merechant of Venice

تمتاز مسرحيات شكسبير "بالدقة فى التصميم والبناء"(xxv) ، حيث أن "جميع مسرحياته – باستثناء هاملت – لا وجود فيها لوجدان مجرد أو تائه أو معلق فى الهواء وبالمثل لا وجود فيها لفكرة مجردة أو صارخة أو خارجة عن مجرى المسرحية وتطور الأحداث ، فكل ما فى المسرحية تفاصيل موضوعية تنخرط فى كل متكامل هو الذى يحدد الوجدان"(xxvi) .

ومسرحية تاجر البندقية مسرحية كوميدية ، تتميز بتوازن البناء الدرامى "شأنها شأن كل مسرحيات شكسبير الكوميدية ، حيث أن "البناء الدرامى لهذه الكوميديات لا يكاد يختلف ، إذ نلاحظ فيه التوازن الدقيق بين عنصرين ، الأول رومانسي يدور حول قصة حب ، والثانى كوميدى ، ساخر يدور حول مؤامرة"(xxvii) ، وهذا ما نلاحظه بوضوح فى مسرحية تاجر الندقية ، حيث توجد قصة الحب التى تجمع بين باسانيو وبورشيا ، وتوجد

قصة المؤامرة التى دبرها شيلوك لأنطونيو ، وتتداخل القصتان وترتبطان ببعضهما البعض حتى يصبحان كياناً واحداً ، لا ينفصلان عن بعض ، وهذا البناء يجعل المتلقي يستمتع بقصة الحب ويضحك مع كوميديا الموقف فلا يشعر بالملل . وشيكسبير كتب المسرحيات التراجيدية والكوميدية ، وإن كان لا يوجد تباين كبير بين النوعين من ناحية البناء الدرامي ، "فكوميديا شكسبير السوداء يمكن أن تدعى بالتراجيديات الخفيفة أو المبهجة ، فلا يوجد اختلاف بنيوي جذري بين كوميديات شكسبير وتراجيدياته"(xxviii) .

عرض مختصر لأحداث مسرحية "تاجر البندقية"

تبدأ أحداث المسرحية بأن يستنجد "باسانيو" بصديقه "أنطونيو" لكي يقرضه ثلاثة ألاف درهم لكى يسافر ويطلب الزواج من الفتاة الجميلة "بورشيا" ، ذات الحسب والنسب والمال أيضاً ، والتى يتنافس على الزواج منها الكثير من كبار القوم من داخل البلاد وخارجها ، ولكن أنطونيو لم يكن يمتلك المال الذي يقرضه إياه ، لأن كل أمواله وضعها فى تجارته الموجودة فى أعالي البحار ، غير أن أنطونيو اقترح على باسانيو – حلاً اضطرارياً للموقف – أن يأخذ هذا المبلغ بالربا من المرابى اليهودى "شيلوك" ، وسوف يسدد المبلغ بالنيابة عنه عندما تأتى سفنه محمله بالبضائع فى موعد أقصاه ثلاثة أشهر ، فذهب باسانيو إلى شيلوك ليقترض منه المبلغ ؛ فوافق شيلوك ، بل زاد بأنه لن يأخذ ربا عن هذا القرض شريطة أن يكون أنطونيو هو الضامن ، وأن يكتب شرطاً – زعم شيلوك أنه على سبيل المزاح ليس أكثر – على أنطونيو مفاده أنه إذا مرَّ ثلاثة أشهر ولم يأخذ أمواله يكون لشيلوك الحق فى اقتطاع رطل من اللحم من أي جزء من أجزاء جسم أنطونيو ، ووافق أنطونيو – برغم اعتراض باسانيو – لاعتقاده أن هذا الشرط لن يتحقق إطلاقاً ؛ لأن سفنه ستعود حتماً محملة بالبضائع قبل موعد استحقاق القرض بعدة أيام ليست بالقليلة . وأخذ باسانيو المال ، وسافر إلى بورشيا فى بلدتها "بلمونت" ، واستطاع أن يفوز بها ويتزوجها .

وكان لليهودي شيلوك ابنة تدعى "جيسيكا" ، لم تكن تحب الحياة مع والدها ، وكانت جيسيكا تعيش حالة حب مع شاب مسيحى يدعى "لورنزو" ، وكانت تعلم أن أبيها لن يوافق على أن تتزوج من حبيبها ؛ ففضلت أن تهرب مع حبيبها إلى خارج البلاد لتتزوجه ، وأخذت معها بعض أموال أبيها .

ومرت الشهور الثلاثة ولم تأتى أي سفينة من سفن أنطونيو ، بل الأكثر من هذا أن تواترت أنباء وانتشرت إشاعات بأن سفن انطونيو قد غرقت فى أعماق البحار ؛ وأنه فقد كل تجارته ؛ ففرح شيلوك فرحاً شديداً ؛ لأنه كان يتمنى وينتظر اليوم الذي تأتى فيه الفرصة لينتقم من أنطونيو ؛ لأن الأخير فضلاً عن كونه مسيحياً – واليهودى شيلوك يكره المسيحيين – فهو دائماً ما يسخر منه وينعته بأوصاف حقيرة لكونه يهودياً ، وأيضاً بسبب جشعه وعمله بالربا ، بالإضافة إلى أن أنطونيو يقرض الناس مالاً دون فوائد مما جر الخراب على شيلوك كمراب لا يقرض المال إلا بفوائد عالية.

ويذهب شيلوك إلى المحكمة لكى يقاضى أنطونيو ، الذى لم يستطع الوفاء بما كتبه على نفسه . وتصل الأخبار إلى باسانيو فيخبر زوجته "بورشيا" بالموضوع ويهرع لنجدة صديقه أنطونيو . وتتأثر بورشيا بالقضية ، ويتفدق ذهنها على فكرة أن تتفق مع أحد أقاربها من كبار المحامين على أن تُنيب عنه فى الدفاع عن أنطونيو فى المحكمة ؛ فتلبس ملابس الرجال وتذهب للمحكمة دون علم أحد سوى خادمتها "نيريسا" .

وتحاول بورشيا أن تستعطف شيلوك لكى يرحم أنطونيو ويقبل ما عرضه عليه باسانيو وأنطونيو من رد أضعاف مبلغ الدين ، إلا أن شيلوك يرفض هذا الأمر رفضاً قاطعاً ، كما رفضه من غيرها قبل مجيئها ، ويصر على أخذ حقه بموجب صك الدين وهو اقتطاع رطل لحم من جسم أنطونيو ، وعندها تطلب بورشيا منه أن يستعد لقطع رطل اللحم من جسم أنطونيو ولكن بشرطين: الأول ألا يريق قطرة دم واحدة ، وإذا حدث هذا سوف تصادر الدولة كل أملاكه ، والثاني أن يقطع رطلا واحداً من اللحم من غير زيادة أو نقصان ، فإذا زاد المقدار أو كان يقل حتى حبة خردل أو قسماً من جزء من عشرين من حبة خردل أو إن رجحت كفة الميزان مقدار الشعرة فلسوف يكون الموت مصيره وتصادر الدولة كل أملاكه ، فيتراجع شيلوك عن تمسكه بصك الدين ويحاول الحصول على رأس ماله فقط ، بل وصل به الأمر أن يتنازل عن هذا المال أيضا فى سبيل أن تتركه المحكمة ليغادر إلى منزله، إلا أن المحكمة تقضى بمعاقبته – كما ينص قانون البندقية – بتجريده من كافة ممتلكاته وتحويلها إلى "لورنزو" زوج ابنته "جيسيكا" بعد وفاته بموجب عقد وقع عليه شيلوك ، كما قضت بأن عليه أن يعتنق الديانة المسيحية عقاباً له على تآمره على إزهاق روح مسيحى من سكان البندقية .

تنتهي المسرحية بأن تعود سفن أنطونيو من أعالي البحار سالمة غانمة ، وأن الأقاويل التي ادعت غرقها لم تكن صحيحة ، وأن جيسيكا ولورنزو قد أصبحا من الأثرياء ، ويعرف باسانيو وجراتيانو وأنطونيو أن المحامى الذى أنقذ الأخير لم يكن رجل – كما بدا لهم فى المحكمة – بل كان سيدة وهذه السيدة هى ذاتها بورشيا. كما تنتهى المسرحية أيضاً بلمسات من الفكاهة والمرح من المشهد الذى يهدى فيه الزوجان – باسانيو ، جراتيانو – خواتم الزواج لزواجاتهما – بورشيا ، نيريسا – دون علمهما بحقيقة تنكرهن ، ثم نضحك معهم جميعاً عندما يعرفون الحقيقة ، ويفرح جميع شخصيات المسرحية ما عدا شيلوك .

الحزن في مسرحية تاجر البندقية

عبر تاريخ الفنون والآداب تختلف حكايات الألم ، وتتنوع مصادر المعاناة ولكنها تتجسد فى ذات الإنسان وعياً بالحقيقة ، ونضوجاً فى الفكر والعقل والتصورات واستعلاء بالأحلام والتطلعات . "ومنذ انطلقت الأعمال الدرامية العظيمة على يد هوميروس وسوفوكليس مصورة آلام البشرية الهائلة ومشاكلها الأبدية اللانهائية . ومنذ سرت أنغام الشعراء العظماء وانطلقت صيحات المفكرين والفلاسفة عبر التاريخ احتجاجا على ما في الحياة من متناقضات وطلباً للمدن الفاضلة وبحثاً عن سعادة لا تحققها أحلام الحياة القصيرة الآفلة قد تتغير الأسباب وتختلف الغايات والمقاصد ولكن تبقى معاناة الألم نبعاً فياضاً للفن العبقري الخالد"(xxix) . وفى مسرحية تاجر البندقية نجد أن شكسبير بدأها بالحزن والكآبة ، فالبطل "أنطونيو" يشعر بالحزن دون مبرر ودون سبب واضح ، فالحزن والتعاسة يستحوذان على عقله ووجدانه ، بالرغم من أنه يمتلك أموالاً طائلة ، وتجارة ناجحة ، ويتمتع بالشباب وبصحة جيدة.

أنطونيو : حقاً لا أعرف سِرّ الحزن الراسخ فى نفسي! (...) .. لا أعرف كيف أتاني أو مِمَّ صُنِع؟ .. لكن الحزن يصيب العقل بضعف عات .. لا أقدر معه أن أعرف نفسي!(xxx).

والحزن الذى سيطر على أنطونيو جعله لا يعرف نفسه ، وغير قادر على التفكير . ويعتقد أصدقائه أن سبب هذا الحزن هو خوفه على تجارته التي فى البحر ، ولكنه يؤكد لهم أن هذا غير صحيح ، لأنه يمارس التجارة منذ زمن بعيد ، كما أن تجارته موزعة على عدة سفن ، وتُبحر متباعدة عن بعضها البعض ، فليس هناك خطر عليها من غضب البحر ،

ولا هجوم القراصنة عليها. ويحتار أصدقاء أنطونيو فى سبب حزنه بهذا الشكل ، ويعتقدون أنه وقع فى الحب ، ولكنه ينفى هذا تماماً ، ويرى أن الله قد خلقه ليكون حزيناً.

ساليريو : (...) فالحزن لديه وليد الخوف على سفنه!

أنطونيو : كلا .. صدقنى .. فأنا لم أُرسل سفنى جمعاء إلى نفس المرفأ .. بل لا يستند ثرائي لتجارة عامي هذا وحده!

سولانيو : هو حزن الحب إذن!

أنطونيو : أبداً أبدا ..

(...)

أنطونيو : أنا لا أرى الدنيا .. إلا كما أعرف .. هى مسرح قد وزعت أدواره بين البشر ، ودوري المكتوب هو إنسان حزين [xxxi] .

ولكن الباحث يرى أن الحزن لا يتفق مع شخصية مثل شخصية أنطونيو منحه الله الجاه والمال والصحة الجيدة ، فلم نعرف عنه أنه مريض مثلاً بمرض ما ، أو يمر بأزمة نفسية نتيجة حادث ما لتكون سبباً لاكتئابه الدائم هذا ، لدرجة أن الابتسامة لا تعرف طريقها إلى وجهه على الإطلاق حتى لو أمطرته بوابل من النكات ، ولم يستطع أو بالأحرى لم يرد شكسبير بأن يبرر لنا هذا ، سوي أن أنطونيو لا يعرف سر حزنه الدائم.

وبالرغم من حزنه الدائم إلا أن أنطونيو طيب القلب وعطوف وكريم الخلق ، ويفعل الخير ، وهو ذو حس مرهف ؛ فدموعه تنساب لأي مشهد غير إنساني ، وهذا واضح جيداً من أحداث المسرحية ، بل إن باسانيو يصفه بأنه أرق الناس وأكثرهم عطفاً ، ويصفه ساليريو بأنه أكثر المخلوقات على وجه الأرض نبلاً وعطفاً:

ساليريو : ما دبَ على الأرض نبيل أكثر عطفاً[xxxii]

باسانيو : ... وأرق الناس وأكثرهم عطفاً ، لا يألو جهداً فى فعل الخير[xxxiii]

ولكن الباحث يرى أن هذه السمات تتعارض تماما مع سلوك أنطونيو تجاه شيلوك ، فكيف بإنسان هذه صفاته يسخر ويسب ويحتقر ويضرب إنسان آخر حتى لو كان هذا الإنسان هو اليهودى شيلوك ، فما فعله أنطونيو بشيلوك لم يفعله به من هم أقل منه بكثير فى العطف والرحمة والإنسانية ، لذلك ؛ فإن شكسبير لم يوفق توفيقاً تاماً فى رسم شخصية أنطونيو .

"الصداقة" ونبضها الإنساني والفني في فكر ومسرح وليم شكسبير

الصداقة فى علم النفس تؤدي وظيفتين أساسيتين : الأولى هي خفض مشاعر الوحدة ، ودعم المشاعر الإيجابية السارة من خلال خمس آليات رئيسية هي: المقارنة الاجتماعية والإفصاح عن الذات ، والمساندة الاجتماعية ، والمساندة في الميول ، والاهتمامات والمساندة المادية. والثانية: هي الإسهام في عمليات التنشئة الاجتماعية ؛ فالصداقة تيسر اكتساب عدد من المهارات والقدرات والسمات الشخصية المرغوب فيها اجتماعيا . أما في الفلسفة فقد عرفها أرسطو بأنها: عطف متبادل بين شخصين حيث يريد كل منهما الخير للأخر، كما يميز بين ثلاثة أنواع للصداقة وهي: صداقة المنفعة وصداقة اللذة وصداقة الفضيلة ، ويبين أن صداقة المنفعة هي صداقة عرضية تنقطع بانقطاع الفائدة ، أما صداقة اللذة فتنتهى بعد إشباع اللذة أو تغير طبيعتها ، وأما صداقة الفضيلة فهي أفضل صداقة .

"ولم تكن الصداقة قضية من القضايا الفكرية التي فجرها وكتب وتفرد بها شكسبير ، "لأنها إحساس واحتياج وموقف قديم قدم الإنسان ووجوده وحياته على وجه الأرض"(xxxiv) ، وهى ليست موضوعاً غريباً عن الأدب ، فقد كتب كثير من الأدباء والمفكرين والشعراء والمسرحيين عن الصداقة والأصدقاء . وتتجلى الصداقة بصورة واضحة من بداية المسرحية ، حيث يكشف لنا شكسبير عن الصداقة القوية التى تجمع بين أنطونيو وباسانيو منذ اللحظة التى يظهر فيها باسانيو على خشبة المسرح ، حيث نعرف مدى مكانة ومعزة أنطونيو لصديقة باسانيو من خلال الجملة الحوارية الأتية التى يوجهها سولانيو إلى أنطونيو لحظة قدوم باسانيو نحوهما:

سولانيو : ... (يدخل باسانيو ولورنزو وجراتيانو) .. هذا باسانيو قادم ! وهو قريبك ذو القدر الأسمى![xxxv] .

إن علاقة الصداقة بين أنطونيو وباسانيو من القوة والمتانة التى تجعل أنطونيو يضع كل إمكانياته المادية وكل ما يملك ، بل هو نفسه تحت أمر وطلب باسانيو:

أنطونيو : ... إن خِزانتىَ وشخصى .. بل أقصى طاقاتى رهن إجابة حاجاتك[xxxvi].

وأنطونيو يعاتب باسانيو لأن الآخير يحاول تبرير تأخره عن سداد مبلغ من المال كان قد اقترضه منه منذ فترة ولم يستطع سداده ، وباسانيو يفعل ذلك لأنه يريد أن يقترض من

أنطونيو مبلغاً آخر حتى يستطيع السفر ويخطب يد الأميرة "بورشيا" ، التى وقع فى حبها . ونجد أن أنطونيو يغضبه خجل باسانيو وتردده فى طلب قرض آخر منه أكثر من تبديد باسانيو لثروة أنطونيو ، لأن الصداقة التي بينهما كبيرة جداً، ولا يجب أن يتأخر أحدهما عن الآخر عندما يحتاجه:

أنطونيو : أبعد ما علمته عنى .. تُضيع كل هذا الوقت فى التحايل؟ .. أتشك فى حبى وإخلاصي؟ .. الحق أن ذاك ساءني أشد من تبديد ثروتي على يديك! .. أفصح إذن وقل ماذا تريد أن أفعل .. وثق بأنه مجاب ! هيا تكلم![xxxvii] .

ويطلب باسانيو مالاً كثيراً لكي يذهب إلى مدينة "بلمونت" ، ويخطب الأميرة "بورشيا" التى يحبها ، ولكن أنطونيو لم يكن معه المال الذى يقرضه إلى صديقه باسانيو ، ولكنه يطلب منه أن يقترض بضمانته أقصى ما يحتاجه من مال ، فهو – أى أنطونيو – محل ثقة من جميع رجال البندقية .

أنطونيو : ... بضمانتى ستستطيع الاقتراض من رجال البندقية .. احصل على أقصى الحدود الممكنة[xxxviii] .

ويذهب باسانيو وأنطونيو إلى المرابى "شيلوك" ليقترضا منه ثلاثة ألاف دينار لمدة ثلاثة أشهر فقط ؛ فيشترط شيلوك علي أنطونيو أن يقتطع من جسده رطلاً من اللحم فى حال عدم سداد المبلغ فى الوقت المحدد ؛ فيوافق أنطونيو ، ويرفض باسانيو ، ويتوسل إلى أنطونيو ألا يوافق ، ولكن أنطونيو لا يستجيب لتوسلاته ويمضى على صك الدين وهو راض وسعيد لأنه سيحقق حلم صديقة فى الزواج ممن يحبها:

أنطونيو : أنا راض وسعيد .. ولسوف أُوقع هذا العقد

باسانيو : لا أقبل أن تفعل هذا من أجلى ، والأكرم أن أبقى فى ضائقتى[xxxix].

وعندما رحل باسانيو إلى "بلمونت" ليتقدم للزواج من حبيبته "بورشيا" ، ودعه أنطونيو بالدموع ، وأوصاه بألا يفسد مسعاه توفيراً للمال أو الوقت ، كما قال له: "لا تحمل هماً للقرض من العبرانى ! ، ولتذكر أنك عاشق ، كن منشرح الصدر بشوشاً، ولتشغل بالك بالخطبة دون سواها ، وبما تتطلبه من إظهار االود اللائق دون رهق!"، وهنا فاضت عينه

بالدموع ، فأدار لبسانيو ظهره ، مادًّا يده من خلفه ليصافحه فى حب لا حد له ثم افترقا!"(xl) . وهكذا نرى مدى حب أنطونيو لصديقه باسانيو إلى درجة أن سولانيو يصف أهمية هذه الصداقة التى تجمع بين أنطونيو وباسانيو بأنها هى التى تمنح لأنطونيو الحياة:

سولانيو : قُل إنه لو لم يكن صديقه ما اهتم بالدنيا ولا أحبها[xli] .

وعندما جاءت رسالة لباسانيو فحواها أن صديقه أنطونيو فى أزمة تألم باسانيو كثيراً ، وظهرت على قسمات وجهه التأثر الشديد لدرجة أن بورشيا اعتقدت أن صديقاً مقرباً قد مات من شدة تأثر باسانيو أثناء قراءته للرسالة ، وعندما سألته عن فحوى الرسالة أجابها: إنها أسوأ رسالة فى التاريخ ، فهى تحمل أخبار سيئة عن صديقه أنطونيو الذى يعتبره أقرب أهل الأرض إلى قلبه وأرق الناس وأكثرهم عطفاً:

بورشيا : (تتأمل بسانيو أثناء قراءته الرسالة) .. لابد أن هذه الرسالة تحمل أنباء بلاء .. فوجه باسانيو امتقع! .. لابد أن صاحباً مُقرباً قد مات (...)

باسانيو : (...) لم تشهد الأوراق فى تاريخها أسوأ مما هو مكتوب هُنا!.

(...)

بورشيا : أوَ ذاك صديقك المُقرب؟ .. صديقك الذى يواجه الخطر؟

باسانيو : بل أقرب أهل الأرض إلى قلبى ، وأرق الناس وأكثرهم عطفاً[xlii]

وتحتوى الرسالة التى أرسلها أنطونيو إلى باسانيو معان عديدة لقيمة الصداقة ؛ فأنطونيو بالرغم الأزمة التى هو فيها يرغب فى رؤية صديقه باسانيو قبل أن يموت، ولكن بشرط أن تسمح ظروفه بهذا ، ويرجوه ألا يُعدل عن رغبته فى خطبة بورشيا.

كما أن أنطونيو يتمنى حضور صديقه باسانيو لحظة اقتطاع رطل اللحم من جسده حتى يشهد تسديد ديونه ، وبعدها لن يحفل – أى أنطونيو – فى دنياه بشئ:

أنطونيو : ... إن جاء إلينا باسانيو حتى يشهد تسديد ديونه لن أحفل فى دنياى بشئ![xliii] .

ويصف لنا شكسبير بعضاً من سمات الصداقة الحقيقية ، حيث يقول على لسان بورشيا: "... أنا أدرك أن الأصحاب إن طال تواصلهم وتعاشرهم فارتبطوا برباط الحب الصادق

لابد لهم أن يشتركوا فى بعض صفات الخَلّقِ أو الخُلُقِ بل فى نفس الروح! ، ولذا أتصور أنطونيو فى صورة زوجي باسانيو ما داما يرتبطان بهذا الحبِّ الغامر!"(xliv) . وتتجلى قيمة الصداقة فى أجل معانيها عندما يعرض باسانيو التضحية بلحمه ودمه فداءاً لأنطونيو ، ولكن أنطونيو يرفض ، ويصر على أن يضحى هو بنفسه فداءاً لصديقة ، بل الأكثر من هذا يتمنى لصديقه أن يعيش بعد موته كى يكتب له الرثاء فوق قبره:

باسانيو: لن تُسفَكَ من أجلى قطرة دم ، وليفز العبرانى بلحمى ودمى وعظامى!

أنطونيو : ... ليت باسانيو يعيش بعد موتى كى يَخُطَّ لى الرثاء فوق قبرى![xlv]

وتسمو قيمة الصداقة على أى شئ فى هذا النص ، حتى على الحياة نفسها ، وذلك عندما يشرع "شيلوك" فى قطع رطل اللحم من صدر "أنطونيو" – أى قتله لا محالة – فنجد أن أنطونيو يصافح صديقه باسانيو مودعاً إياه بالدموع ، ويطلب منه ألا يحزن ، بالرغم أن الأخير هو سبب بلاءه ، إلا أن حب الصديق لصديقه يفوق كل شئ فى الوجود:

أنطونيو : ... صافحني يا باسانيو ، أستودعك الله ، لا تحزن لوقوعي فى هذه المحنة من أجلك[xlvi].

قيمة "الحب" في مسرحية "تاجر البندقية"

الحبّ حالة نفسيّة وعاطفية تنبع من أعماق الإنسان لتمنحه السعادة والهناء ، وربطه بالمحبوب ارتباط الانسجام والرِّضي والتوافق ، حتى يكاد المحبّان أن يتّحدا ، إذا ترسّخ الحبّ ، وتحوّل إلى شعور باحتواء المحبوب . فيشعر المحبّ ، فيما وراء الوعي أن لا فرق بينه وبين حبيبه . فهما حقيقة واحدة ، وذاتان مندمجتان في ذات النفس . ولأهمية الحبّ في الحياة ، وقيمته في سعادة الفرد والأسرة والمجتمع ، اعتبر الإسلام الحبّ قيمة عُليا في رسالته ، وهدفاً سامياً من أهدافه ، يسعى بشتّى الوسائل لتحقيقه ، وتكوينه في النفس البشرية ، وإشاعته في المجتمع ، وبناء الحياة على أساس الحبّ والمودّة ؛ لأن الحب قيمة كبرى ، وبدونه تتحول العلاقة بين البشر إلى حقد وكراهية ، وتتحول الدنيا إلى غابة .

وتتمثل قيمة الحب فى مسرحية تاجر البندقية فى أكثر من موضع وأكثر من حدث ، فمنذ بداية المسرحية نعرف أن أنطونيو يحب صديقه باسانيو حباً كبيراً ، وهذا الحب هو ما يجعل باسانيو أن يبوح بأسراره لصديقه أنطونيو:

باسانيو : (...) .. ولقد شجعنى حبك لى أن أكشف لك عن خططى لسداد ديونى جمعاء![xlvii]

كما نرى قيمة الحب فى علاقة الحب القوية التى تجمع بين جسيكا – ابن اليهودى شيلوك – وبين الشاب المسيحى "لورنزو" ، تلك العلاقة التى تجعل جسيكا تتخلى عن دينها وتعتنق المسيحية ، وتترك أبيها وثروته الطائلة من أجل الزواج بمن تحب ، وهذه تضحية كبيرة جداً تدل على مدى تأثير الحب على جسيكا. وشكسبير يرى أن حبها للمسيحى لورنزو وهروبها معه منتهى الإخلاص لحبيبها :

جراتيانو : ... هى الإخلاص بعينه .. تُثبِتُهُ فيما تفعل.. ولهذا تنزل من روحى بالحكمة والإخلاص وبالفتنة فى منزل صِدق!(xlviii) .

ويتفق الباحث مع شكسبير فى أن من حق جيسيكا أن تحب وأن تختار شريك حياتها وأن تتزوجه وتخلص له كل الإخلاص ، ومن حقها أيضاً أن تعتنق الديانة التى تؤمن بها ، ولكن يختلف معه فى وصفها بالمخلصة ، حيث أن جيسيكا ليست هى الإخلاص بعينه – كما يصفها جراتيانو – وإلا ماذا نسمى سرقتها لأموال أبيها، هل نسميها شرف؟! ، بالطبع لا ؛ فهى أجرمت مرتين الأولى: عندما سرقت أموال أبيها وهربت بها مع عشيقها ، والثانية: عندما خانت أبيها الذي ائتمنها على هذا المال ، وإلا كيف لها أن تسرقه إذا لم يكن يأتمنها ؟! ، وكان على شكسبير أن يجعلها لا تسرق أموال أبيها لتمنحها لحبيبها أو حتى لنفسها حتى تتسق أفعالها مع صفة الإخلاص التي وصفها بها .

كما نرى الحب يجمع بين قلبى بورشيا وباسانيو ، فباسانيو اقترض أموالاً حتى يذهب لخطبة بورشيا ، كما يقطع عهداً على نفسه بأنه لن يتزوج أبداً إذا جانبه الصواب في اختيار الصندوق التى به صورة بورشيا . كما نرى بورشيا تتوسل إليه أن يتمهل فى اختيار الصندوق وترجوه أن يمكث فى قصرها شهراً أو شهرين قبل أن يختار الصندوق ، بل الأكثر من هذا أنها تثرثر معه حتى تبقى معه ولو دقائق معدودات ، وذلك خوفاً منها أن يخطأ فى اختيار الصندوق الصواب فتفقده إلى الأبد:

بورشيا : أرجوك تمهل بعض الشئ .. أُمكث يوماً أو يومين قبل القرعة! .. إذ إنك لو أخطأت فسأحرم منك ... فأنا أتمنى لو عِشت هُنا شهراً أو شهرين قبل القرعة .. أتمنى لو علمتك سِر القرعة حتى تختار الصندوق الصائب ... ما أكثر ما طال حديثى لكنى أبغى أن يمتد الوقت ويطول ويطول كيما يتأخر ميعاد القُرعة!(xlix) .

ويعرض لنا شكسبير ما للحب من قيمة كبيرة فى حياتنا ، فالحب يجعل البشرية تتسامح وتعفو وتغفر وتساند بعضها بعضاً ، وشكسبير يدعوا الإنسان أن يحب أخيه الإنسان ، وذلك من خلال الصداقة التى جمعت بين أنطونيو وباسانيو وكان رباطها المتين هو الحب ، ذلك الحب الذى جعل كل منهما يؤثر مصلحة الآخر عن مصلحته الشخصية ، فها هو أنطونيو يُعرب لصديقه باسانيو – عندما أوشكت حياته على الانتهاء – عن مدى حُبه له:

أنطونيو : ... أبلغ زوجتك الغراء تحياتي ، أخبرها كيف قضى أنطونيو ، قُل كم كنت أحِبُّك! ، واذكرني بالخير غداة الموت ، قُصَّ القِصَّة ثم اطلب منها أن تَحكُمَ كم كنت أُحِبُّك باسانيو[i].

وكما أعرب أنطونيو لصديقه عن مدى حبه له ، أعرب كذلك باسانيو لصديقه عن مدى حبه له أيضاً:

باسانيو : المرأة التى زُوِّجتُها أثمن عندي من حياتي نفسها ، لكن حياتي نفسها وزوجتي وثروة الدنيا بأسرِها أقل قدراً من حياتك ، إني لأوثرُ أن أُقدمها جميعاً مِنحة لشراهة الشيطان ها هنا ، أى أضحى بالجميع كي أُخَلِّصَك[ii].

إن الحب عند شكسبير أسمى وأرقى وأثمن ما فى الوجود ، فالحب أكبر من كل الأموال على مر الزمن ، فعندما أراد أنطونيو أن يكافئ القاضي – بورشيا – الذي أنقذه من الموت لم يجد قيمة ولا ثمن أكبر من قيمة الحب يهديها له:

أنطونيو : ولسوف نظل ندين بدين الشكر ودين الحب له ديناً أكبر من كل الأموال على مَرِّ الزمن[iii].

قيمة "الوفاء" فى مسرحية تاجر البندقية

الوفاء قيمة إنسانية وأخلاقية عظمى، بها تدعم الثقة بين الأفراد، وبها تؤكد أواصر التعاون في المجتمع، فالوفاء أصل الصدق، والعقل ، والوفاء صدق اللسان والفعل معاً، والغدر كذب بهما، والوفاء يختص بالإنسان، فمن فقد الوفاء فقد انسلخ من إنسانيته، وقد جعل الله الوفاء قواماً لصلاح أمور الناس، وقد قال الله عز وجل: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ .. سورة البقرة ، الأية ٤٠

وتتجلى قيمة الوفاء فى هذه المسرحية فى أحداث كثيرة فى المسرحية ، فها هى "بورشيا" – ذات الجمال الفتان وصاحبة الثروة الكبيرة – تُوفى بوصية أبيها لها ، والمتمثلة فى عدم زواجها من أى شخص سوى من يستطع أن يختار الصندوق الصائب من ثلاثة صناديق – الأول من الذهب الخالص ، والثانى من الفضة ، والثالث من الرصاص المصمت – وضع الأب في إحداها صك من يفوز بالزواج من ابنته . وكان من الممكن ألا تُنفذ "بورشيا" وصية أبيها ، وخاصة أنها كانت لا ترغب فى الزواج إلا من أحبه قلبها وهو الفتى "باسانيو" ، ولكنها أوفت بوصية والدها لها ، وكانت تُفضّل أن تعيش عذراء طوال حياتها ولا تتزوج إلا بطريق القرعة تنفيذاً لكلام أبيها ، وهذا – فى رأى الباحث – منتهى الوفاء:

بورشيا : لو عشت إلى ألف سنة .. فلسوف أعود إلى ربى عذراء كما جئت ولا أتزوج أحداً منهم ، إلا بطريق القرعة تنفيذاً لكلام أبى![iii] .

إن بورشيا هنا تعلمنا قيمة الوفاء ومعناه النبيل ، فهى تفضل أن تعيش حياتها كلها عذراء على أن تخالف وصية أبيها ، بالرغم أن من تقدموا للزواج منها هم من أفضل وأغنى الشباب . كما تظهر قيمة الوفاء أيضاً فى بِر الخادم "لونسلوت" لأبيه، وذلك عندما جاءه أبيه يسأل عنه بعد طول فراق ، فقد جعل شكسبير الخادم يقبع تحت قدم والده ليقبلها وفاء وبراً بوالده ، ويطلب منه الرضا:

لونسلوت : ... (يركع أمام والده) أرجو رضاك عنى[iv] .

كما نرى شيلوك ينزعج انزعاجاً شديداً عندما يعلم من اليهودى (توبال) أن ابنته قد سرقت خاتم منه – كانت زوجته قد أعطته له كهدية أيام خطبتهما – وقد باعته مقابل قرد ، ويردد مع نفسه : "ملعونة يا جيسيكا ! (توبال) قد عذبتنى! الخاتم الزبرجد؟ لقد أخذته هدية من زوجتى (ليحا) – يرحمها الله – أيام خطبتنا! ولست أقبل التفريط فيه ، حتى ولو أعطيت ما فى الأرض من قرود!"[v]. وهذا قمة الوفاء من زوج لزوجته ، كما أنه لم يتزوج بعد وفاتها .

كما يتجلى الوفاء واضحاً من رد فعل باسانيو عندما علم بالمشكلة التى وقع فيها صديقه أنطونيو بسبب الدين الذى اقترضه من شيلوك ، فقد انزعج انزعاجاً شديداً ، وضاق صدره ، وترك زوجته بورشيا قبل أن يدخل بها وأسرع لنجدة صديقه أنطونيو، كما يتضح مدى

أصالة ووفاء زوجته بورشيا التى شجعته أن يتركها فى ليلة زفافها ويهرول لنجدة صديقة ، بل الأكثر من هذا منحته ذهباً يُوفى دين صديقه عشرين مرة:

بورشيا : ... إذ كيف أرضى أن تضاجعني بنفس قلقة!؟ .. ولسوف تحمل فى يدك ذهباً يُوفى دينه عشرين مرة ، وبعد أن تُؤديه عُد وصاحبك الأمين! .. أما أنا ووصيفتي فلسوف نحيا كالعذارى والأرامل![lvi].

كما أن باسانيو يعرض على هيئة المحكمة أن يدفع عشرة أمثال المبلغ أو تُقطَعُ رأسه ويداه وقلبه بدلاً من صديقه أنطونيو:

باسانيو:... أتعهد أن أدفع عشرة أمثال المبلغ أو تقطع رأسى ويداى وقلبى![lvii]

قيمة القناعة

إن أنطونيو فى هذه المسرحية إنسان قنوع ، يقنع بالربح القليل من تجارته ، فهو يقرض المحتاجين من غير ربا ، بالرغم من أن هذا الأمر يغضب بعضاً من زملائه التجار:

شيلوك : ... أكرهه فهو مسيحي .. ويزيد من كراهيتي له إقراض المال بلا ربح ضعة منه وغفلة مما يخفض سعر الفائدة على الأموال في هذه البلدة[lviii] .

ويعلمنا شكسبير درساً ذا قيمة عظيمة في أهمية القناعة والرضا بالقليل وعدم الطمع ، وذلك عندما جعل صورة بروشيا في الصندوق الرصاصي وليس فى الصندوق الفضي أو الذهبي ، وذلك لكي يفرز العريس الطماع من غير الطماع ، فهو يرغب فى عريس لإبنته قنوع ، لا ينساق وراء المال ولا المظاهر الخادعة ، وبالتالي سيحافظ على ابنته وعلى ثروتها ، كما أنه يلقن العريس الطماع درساً قاسياً، لأن شرط التقدم لفتح الصناديق للفوز ببروشيا هو: تعهد من يرغب فى ذلك بألا يتزوج أبداً طوال حياته . وكل من تقدموا لبروشيا – باستثناء باسانيو – كانوا طماعين ، لأن جشعهم جعلهم يعتقدون أن صورة بروشيا الجميلة والثرية لابد وأن توضع بالصندوق الذهبي ، وبتلك الحيلة استطاع والد بورشيا أن يبعد ابنته عن الرجال الطماعين:

بورشيا : انظر ، أمامك الصناديق الثلاثة أيها الأمير!، إذا نجحت فى اختيارك أعنى إذا وُفقت للذى يضم صورتى فسوف تبدأ احتفالات القران فوراً ، أما إذا أخفقت يا مولاى ، فعليك أن تمضى فوراً بلا كلام

أراجون : هاكم ما أقسمت عليه : ألا أفصح عما اخترته ألا أتزوج ما عشت إذا أخفقت ، وأخيراً أن أمضى فوراً إن لم أنجح![lix] .

وبعد أن يختار باسانيو الصندوق الصائب تغمره سعادة كبيرة ، كما تغمر بورشيا سعادة أكبر ، وتتمنى أن يزداد جمالها ستين مرة ، وتزداد ثروتها عشرين ألف مرة حتى تُرضى حبيبها باسانيو ، بل الأكثر من هذا تضع ثروتها وقصرها وكل ما فيه من خدم ، بل تضع نفسها هى أيضاً رهن إشارته ، وطوع أمره . وكما وقع باسانيو فى غرام بورشيا وقع جراتيانو – صديق أنطونيو فى غرام نيريسا – وصيفة بورشيا – ويعقد قرانهما فى نفس وقت عقد قران باسانيو على بورشيا .

قيمة الشرف فى مسرحية تاجر البندقية

تتجلى هذه القيمة فى الصفات التى يتحلى بها كلا من أنطونيو وباسانيو ، فباسانيو إنسان شريف ، ويتضح هذا من خلال تصرفاته ومن خلال وصف أنطونيو له:

أنطونيو : ... أنا أعهد فيك الشرف دواماً[lx] .

كما أن أنطونيو يتمتع بهذه القيمة أيضاً ، فكل أهالى مدينة البندقية يقولون عنه أنه شريف وأمين:

سولانيو : ... هو أن أنطونيو الشريف والأمين[lxi]

ونرى مدى حرص باسانيو على قيمة الشرف وأهميته عند الإنسان ، وهذا واضح من موقفه مع المحامى الذى دافع عن صديقه أنطونيو فى المحكمة يدل أنه شخص كريم ، وغير ناكر للجميل ، وذلك عندما طلب منه المحامى أن يمنحه الخاتم الذي يلبسه كتذكار ، فمنحه باسانيو اياه – بالرغم أنه هدية من زوجته بورشيا ولا يُقدر بمال – حتى لا يتدنس شرفه بالنكران:

باسانيو : ... إنى أجبرت على إرسال الخاتم فى أثره بعد الإحساس بوخز العار وواجب إكرام الأستاذ لم أرض لشرفى أن يتدنس بالنكران!.[lxii]

فضيلة "الرحمة" فى مسرحية "تاجر البندقية"

الرحمن الرحيم ، اسمان من أسماء الله الحسنى ، والرحمن يحض البشرية على الرحمة والشفقة بعضهم البعض ، وهى شئ عظيم لمن يعمل بها وينهل منها. وتأكيدا وترسيخا لهذه القيمة العظيمة فى النفوس تكرر مفهوم الرحمة مئات المرات فى القرآن الكريم ، وفى الأحاديث النبوية ، وهذا التأكيد من شأنه أن يجعل قيمة الرحمة حاضرة باستمرار فى وعى الناس حتى يكون التعامل فيما بينهم قائما على هذا الأساس . والسلوك الذى يخلو من الرحمة يُعد سلوكا لا يليق بالإنسان الذى كرمه الله وجعله خليفة فى الأرض ليُعمرها بالخير وينشر فيها القيم الفاضلة وعلى رأسها قيمة الرحمة ، "تلك القيمة التى إذا تمكنت من النفوس وترسخت فى العقول فإنها تتحول تلقائيا ودون تكلف إلى أسلوب للتعامل مع كل

الكائنات. وتمثل الرحمة أرقى درجات السمو الأخلاقي الإنساني ، لأن هذا السلوك مرتبط فى الوقت نفسه بالتسامح والحب لكل الكائنات. ولا يمكن لمن يتخلق حقيقة بهذا الخلق أن يكون ظالما أو متعصبا أو حقودا أو متطرفا فى فكره أو فى سلوكه"[lxiii].

وشكسبير فى مسرحيته يعلمنا أهمية الرحمة فى حياتنا وضرورة التمسك بها ، وذلك من خلال شخصية اليهودى الذى لا تعرف الرحمة طريقاً إلى قلبه ، فقد أصر اليهودى "شيلوك" أن يقتطع رطلاً من لحم "أنطونيو" رغم توسلات الجميع إليه بما فيهم قاضى المدينة ، ولم تُجدى معه كل المحاولات لإثناءه عن نيته هذه ، بما فيها عرض دفع أضعاف أضعاف قيمة القرض الذى اقترضه أنطونيو منه ، وبما فيها الدرس البليغ التى لقنته إياه "بورشيا" – وهى متنكرة فى هيئة قاض – عن الرحمة ، حيث قالت له: "ليس فى الرحمة إلزام وقهر! ، إنها كالغيث ينهل رقيقاً من سماه دونما نهى وأمر! ، بُورِكَت تلك الفضيلة مرتين: إنها تبارك الرحيم مثلما تبارك المُستَرحِم! ، وهى أزكى ما تكون إن أتت عن مقدرة بل وأزهى من عُروشِ المُلك والتيجان! ، إن يكن فى الصولجان البطش أو مُلكُ الزمان ، إن يكن رمز المهابة والجلال مكمن الرهبة والخوف من السلطان ، فهى أسمى من جلال الصولجان ، عَرشُها فى الصَّدر فى قلب الملوك الرُّحماء! ، يعرف الخَلقُ بأن الرحمة من صفات الله ، وهى إن حَفَّت مسار العدل قَرَّبَت ما بين حُكم الأرض والسماء! . إن تكن تبغي العدالة وحدها أيها اليهودى فاعتَبِر بما أقول: إن مجرى العدل وحده ليس يُنجى من عذاب الآخرة ، ولذا نطلب فى كل صلاة رحمة من الإله! ، بل تُعلِّمنا الصلاة كيف نرحم!"[lxiv].

وعندما تحكم المحكمة بإعدام شيلوك – لأنه لم يستطع قطع رطل لحم من جسد أنطونيو دون إراقة دماء كما ينص العقد – ومصادرة نصف أملاكه للدولة والنصف الآخر لأنطونيو مع تغريمه غرامة مالية ، يبادر الدوق بإلغاء عقوبة الإعدام رأفة ورحمة بشيلوك ، كما يبادر أنطونيو بالعفو عنه ويتنازل عن الأملاك التى آلت إليه بحكم المحكمة إلى ابنة شيلوك حسيكا ، وذلك رحمة بشيلوك – غير الرحيم – .

لقد نجح شكسبير فى تعليمنا ضرورة وقيمة فضيلة الرحمة فى حياة البشر عن طريق تأكيد قسوة وغِلظة قلب اليهودى شيلوك وانعدام الرحمة عنده .

نتائج الدراسة

خرج الباحث من دراسته هذه بعدة نتائج هامة ، من أهمها أن مسرح شكسبير ليس مسرحاً ترفيهياً فقط ، بل هو مسرحاً تربوياً أيضاً ، فهو يحمل فى طياته قيم فنية وجمالية متعددة . وهو مسرح يعلمنا كيفية أن يحيا الإنسان مع أخيه الإنسان ، ويضع للبشر الأسس والمبادئ والقيم التى يجب أن يسيروا عليها ؛ ففي مسرحيته "تاجر البندقية" نجد أنه حرَّص أن يغرز فى المتلقي عدة قيم هامة وضرورية وخَيِّرة في حياة الإنسان ، وذلك عن طريق دراما جادة وممتعة ومحبوكة حبكة جيدة . ومن هذه القيم تبرز قيم الصداقة ، الحب ، الوفاء ، القناعة ، الشرف ، بالإضافة إلى فضيلة الرحمة. فعلى سبيل المثال:

- بدأ شكسبير مسرحيته "تاجر البندقية" بالحزن والكآبة ، فالبطل "أنطونيو" يشعر بالحزن دون مبرر ودون سبب واضح .
- تسمو قيمة الصداقة على أى شئ فى هذا النص ، حتى على الحياة نفسها.
- عرض لنا شكسبير ما للحب من قيمة كبيرة فى حياتنا ، وشكسبير يدعوا الإنسان أن يحب أخيه الإنسان.
- إن الحب عند شكسبير أسمى وأرقى وأثمن ما فى الوجود .
- يتجلى الوفاء واضحاً من رد فعل باسانيو عندما علم بالمشكلة التى وقع فيها صديقه أنطونيو بسبب الدين الذى اقترضه من شيلوك ، ويتجلى أيضاً فى وقوف بورشيا إلى جانب صديق زوجها.
- نرى مدى حرص باسانيو على قيمة الشرف وأهميته عند الإنسان .
- يعلمنا شكسبير فى مسرحيته أهمية الرحمة فى حياتنا وضرورة التمسك بها.

المراجع

[i] – كير إيلام: سيمياء المسرح والدراما ، ترجمة : رئيف كرم ، لبنان ، المركز الثقافى العربى ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٢٧٥ .

[ii] – محمد مندور : فى المسرح العالمى ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ١٥ .

[iii] – ب ٠ إفورإيفانز : موجز تاريخ الدراما الإنجليزية ، ترجمة : الشريف خاطر ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

[iv] – فاطمة موسى: الوحدة الفنية فى مسرح شكسبير ، القاهرة ، مجلة المسرح ، ع ٢٨ أبريل ١٩٦٦، مسرح الحكيم ، ص٨٥.

[v] – أمينة رشيد: الأدب المقارن والدراسات المعاصرة لنظرية الأدب ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠١١، ص ٢٩

[vi] – محمد شيحة : رقابة المسرح بين مسئولية الفنان ووعى الرقيب ، القاهرة ، مجلة مسرحنا ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، العدد ١٩٠ ، السنة الرابعة ، الإثنين ٢ من ربيع الأخر ١٤٣٢ه – ٧ من مارس ٢٠١١ ، ص ٢٧.

٢ – أحمد هاشم: المسرح الملحمى فى مصر (٤) ، القاهرة ، مجلة "أفاق المسرح" ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، العدد ١٢ يونية ١٩٩٩، ص ٢٧٣ .

[viii] – محمد عويس:البحث العلمى وممارسة الخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، دار النهضة العربية، ١٩٩٨–١٩٩٩،ص ١٥٧

[ix] – محمد عبد الحميد : البحث العلمى فى الدراسات الاعلامية ،ط١ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٠ ، ص ٢١٦ .

[x] – سمير حسين: بحوث الاعلام .. دراسات فى مناهج البحث ،ط٣ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٩ ، ص ٢٣٣.

[xi] – عادل فهمى البيومى : دور التليفزيون المصرى فى تكوين الوعى الاجتماعى ضد الجريمة ،رسا لة دكتوراه ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٤١ .

[xii] – مديحة عامر: قيم فنية وجمالية فى شعر صلاح عبدالصبور ، القاهرة ،دراسة منشورة فى سلسلة "دراسات أدبية" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٤ .

[xiii] - - ar.wikipedia.org/wiki/

[xiv] - https://drsabrikhalil.wordpress.com/.../**الصداقة**-مفهوم

[xv] - sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/٢bb.cgi?seq=msg&board=٨٠...

[xvi] - ar.wikipedia.org/wiki/

[xvii] - www.madinagate.com/٢٧٥/...-**القيمة**-**الرحمة**

[xviii] - https://ar-ar.facebook.com/samirlayl.youssef/posts/٧٣٢٣٢٩١٦٦٧٨١٩٧٦

[xix] - ar.islamway.net › القناعة › المقالات

١ – William Shakespeare : HAMLET , New Delhi , RAMA BROTHERS , Ninth Edition , ١٩٩٦ , p١.

٥ – William Shakespeare : King Henry IV , New Delhi , S. CHAND & CO,

RAM NAGAR , ١٩٧٤, p XV

[xxii] – ١–William Shakespeare : HAMLET , New Delhi , RAMA BROTHERS Ninth Edition , ١٩٩٦ , pag

[xxiii] – وليم شكسبير: مسرحية " تاجر البندقية " ، ترجمة : مختار الوكيل ، تقديم : نايف خرما ، مرجع سابق، ص ١١ ، ص ١٣.

[xxiv] – رشاد رشدى : فن كتابة المسرحية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص ١٢٤ .

* – لا تزال مسرحية تاجر البندقية من الكتب التى يمنع بيعها أو تداولها فى فلسطين المحتلة ، ويعاقب كل من يخالف هذا بالسجن أو الغرامة (انظر: . ١٠٩٤=http://gadll.com/vb/showthread.php?t) .

[xxv] – ب ٠ إفورإيفانز : موجز تاريخ الدراما الإنجليزية ، ترجمة : الشريف خاطر ، مرجع سابق ، ص ٨١.

[xxvi] – فايز اسكندر: شكسبير ومسرح كريستوفر مارلو ، مجلة "المسرح" ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى،ع ٤،ابريل ١٩٦٤ ،ص ٦.

[xxvii] – المرجع السابق.

[xxviii] – جون لينارد ، مارى لوكهارست : المرجع فى فن الدراما ٠٠ مرشد لدراسة المسرحيات ٠٠ ترجمة : محمد رفعت يونس ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٦ ، ط١، ص ١٢٧ .

[xxix] - مديحة عامر : قيم فنية وجمالية في شعر صلاح عبد الصبور ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ١٥.

[xxx] - وليم شكسبير : تاجر البندقية ، ترجمة: محمد عنانى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨ ، ط٣ ، ص ٥٣ .

[xxxi] - المصدر السابق ، ص ٥٥ .

[xxxii] – المصدر السابق ، ص ص ١٠٧ – ١٠٨ .

[xxxiii] – المصدر السابق ، ص ص ١٣٦ – ١٣٧ .

[xxxiv] - مديحة عامر : قيم فنية وجمالية في شعر صلاح عبد الصبور ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٢٤٢.

[xxxv] - المصدر السابق ، ص ٥٧.

[xxxvi] - المصدر السابق ، ص ٥٩ .
[xxxvii] - المصدر السابق ، ص ٦٠ .
[xxxviii] - المصدر السابق ، ص ٦١ .
[xxxix] - المصدر السابق ، ص ٧٦ .
[xl] - المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
[xli] - المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
[xlii] - المصدر السابق ، ص ١٣٤ .
[xliii] - المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
[xliv] - المصدر السابق ، ص ١٤١ .
[xlv] - المصدر السابق ، ص ١٥٦ .
[xlvi] - المصدر السابق ، ص ١٦٥ .
[xlvii] - المصدر السابق ، ص ٥٩ .
[xlviii] – المصدر السابق ، ص ٩٩ .
[xlix] - المصدر السابق ، ص ١٢٠ .
[l] - المصدر السابق ، ص ص ١٦٥ – ١٦٦ .
[li] - المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
[lii] - المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
[liii] - المصدر السابق ، ص ٦٧ .
[liv] - المصدر السابق ، ص ٨٤ .
[lv] – المصدر السابق ، ص ١١٩ .
[lvi] - المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
[lvii] - المصدر السابق ، ص ١٦٢ .
[lviii] - المصدر السابق ، ص ٧١ .
[lix] - المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
[lx] - المصدر السابق ، ص ٥٩ .
[lxi] - المصدر السابق ، ص ١١٥ .
[lxii] – المصدر السابق ، ص ١٩٣ .
[lxiii] - www.madinagate.com/ الدعوة-والثقافة-والحضارة.../٢٧٥-**قيمة-الرحمة**
[lxiv] - المصدر السابق ، ص ص ١٦٠ -١٦١ .